الطبعة الثالثة
فايز الكندري
السقوط من الداخل
قطعة من كتاب
البلاء الشديد والميلاد الجديد
أربعة عشر عاما في غوانتانامو
مركز طروس للنشر والتوزيع
متخصصون في دراسات الشرق الأوسط

السقوط من الداخل:

كان من ضمن الأسرى الأفغان رجلان لم يتمكن حلق اللحية من سلب الوقار والهيبة منهما، قد انكبا على الصلاة والأذكار والدعاء، توطدت علاقتي معهما جداً، لا أدرى لماذا، وكأننا نعرف بعضنا من سنين، فعلاً كما قال النبي ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»، توطدت علاقتي بهما، أحدهما قد فقد إحدى عينيه في إحدى المعارك ضد الشيوعيين الموالين للاتحاد السوفييتي السابق، من الواضح أنه كان من كوادر طالبان، يظهر ذلك من شخصيته وسلوكه وحسن حديثه، كانت الكشافات الساطعة تملأ المكان فتحيله ملعباً رياضياً، جلست معه في أحد الأيام على انفراد، أحسست منه انطلاقاً في الحديث وأنساً في تجاذب أطرافه، تجرأت على سؤاله في مثل هذه الأوضاع التي يتقوقع الإنسان فيها على نفسه تفادياً لوجود وشاة أو سماعات، كان سؤالي جريئاً فعلاً، قلت له: هل أنتم غاضبون على هؤلاء الذين دمروا برجي التجارة العالمي والبنتاغون وكانوا سبباً في سقوط دولتكم التي كانت تحكم بالإسلام؟

أطرق رأسه برهة ثم رفعه وهو يحدق النظر في عيني، لا زلت أتذكر الدموع وهي تسيل من عينه السليمة والمفقوءة، كانت تسيل بغزارة وسط دهشة غمرتني حتى لم أعد أعرف ما أقول، كنت أرى في دموعه الكثير من الكلمات المدفونة، قال وهو يمسح خده بكمه: لقد قتل منا الكثير وهدمت البيوت وسقطت دولتنا، لكننا نعتقد أن الولايات المتحدة كانت عازمة على غزونا حتى لو مر الحادي عشر من سبتمبر بسلام، أمريكا لن تسمح بإقامة كيان يحكم بالإسلام لأنه يذكرها بمجد عريق امتد من الصين شرقاً إلى الأطلس غرباً ومن جنوب فرنسا شمالاً إلى أدغال أفريقيا جنوباً لأكثر من ألف سنة، لقد كان في صفوفنا الكثير من الانتهازيين والضعفاء ففرزتنا الأحداث، لقد كنا نحتاج لمثل هذه الغربلة قبل أن يصل الماكرون إلى سدة القيادة ليحيدونا عن الطريق، أنا أحمد الله أن دولتنا قد سقطت!

صعقت عند سماع هذا الكلام.

: كيف؟

: لأن دولتنا قد سقطت حين امتثلنا ما أمرنا به نبينا ﷺ حين قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**» كانوا يريدون منا تسليم إخواننا المسلمين الذين حلوا ضيوفاً عندنا دون أي محاكمة عادلة، ونحن نعتقد أن دولتنا ستعود مرة أخرى أقوى مما كانت عليه لأن سقوطها كان لتمسكها بمبدئها، ولو سلمنا إخواننا لسقطنا من الداخل، ولو سقطنا من الداخل فلن تقوم لنا قائمة!